الفصل الخامس

حكام الحبشة

ذكرنا فى صدر هذا الكتاب أن الجبال والهضاب حصون طبيعية يلجأ إليها المضطهد والهارب ؛ ولذا كان سكانها خليطاً من الأجناس البشرية المختلفة ، التى يصعب اندماج بعضها فى بعض ، ليكونوا شعباً واحداً ، متحداً فى الصفات ، والشعور ، والميول والأغراض . لأن من شأن الجبال والهضاب تكوين وحدات جغرافية منعزلة تحول بيئاتها المختلفة دون اتحاد سكانها تحت إمرة حاكم واحد . كما تولد فيهم روح العزلة والاستقلال .

ولا يتحد الجبليون إلا إذا غزوا أو هددوا بغزو . فإنهم فى هذه الحالة يهبون جميعاً ، ويلقون قيادهم إلى رجل الساعة أو زعيم العصر ، ليذودوا عن حياضهم ، ويدافعوا عن حريتهم التى لا يعدلها عندهم شىء .

على أن اتحاد الجبلين ، كما ألمحنا ، وشيك الزوال ، لا يدوم طويلا بعد زوال الخطر . وإن دام يكون واهياً مفكك العرى . ولقد شبههم بعض الجغرافيين بالكلاب المسلسلة بعضها إلى بعض ، كل منها يريد الانطلاق إلى جهة غير التى يريدها الآخر ؛ وغير التى يريدها له صاحبه .

وإن طبيعة الحبشة الجبلية ، التى جعلتها فى عزلة عن العالم ، وحافظت على استقلالها زمناً طويلا هى نفسها التى قامت دون دعم حكومة مركزية ؛ وسهلت انقسامها مقاطعات كبيرة ، أو ممالك صغيرة يهيمن عليها ملوك صغار ، أو رءوس مستقلون فى تصريف شئون مقاطعاتها ، لا يدينون بالطاعة إلا للنجوس أو النجاشى[1] أو ملك الملوك

---

(١) ولقبه الموروث : الأسد القاهر من سبط يهوذا ، المجتبى من الله ، ملك ملوك اثيوبيا. ولا يزال الإمبراطور محتفظاً بلقبه هذا على الرغم من أنه لا يوجد فى الحبشة ملوك غيره .

وهو — نظريا — مرجع السلطات كلها ، مالك الأرض (أرض الحبشة بالطبع لا الكرة الأرضية) وما عليها ، وقاضى القضاة .

منليك الثانى (١٨٦٥ — ١٩١٣ م)

غير أن سلطة النجاشى (الإمبراطور) يحدها نظام الإقطاع القديم ، الذى قضى عليه فى جل البلاد الأخرى ، والذى يقضى بولاء كل فرد لرئيسه المباشر . وهذا وأضرابه يدينون بالولاء لرئيسهم ، وهكذا طالعاً إلى الرأس أو الملك ، الذى يدين بدوره للنجاشى .

فالطبقات الدنيا من رعاة وزراع وصناع ، لا يدينون له ، (النجاشى) إلا عن طريق غير مباشر . وفى ذلك يصدق المثل الحبشى « الكلب يعرف سيده ، ولا يعرف سيد سيده . »

ولم يستطع أحد من نجاشية الحبشة أن يحدث تغييراً يذكر فى هذا الشأن إلا النجاشى منليك الثانى (١٨٦٥ — ١٩١٣ م) الذى يشبهه بعض المؤرخين بالملك لويس الحادى عشر موحد فرنسا . إذ كان ينتهز الفرص السانحة ، ويخلع الرءوس أو الملوك الوارثين ، واحداً بعد واحد ؛ ويستبدل بهم حكاماً معينين ؛ قابلين للعزل أو النقل .

وحكام المقاطعات (أو الرؤساء غير الوارثين) مستبدون فى مقاطعاتهم . وهم بحكم العرف الذى أصبح له قوة القانون — الرؤساء المباشرون لجميع المصالح الحكومية . وبيدهم تصريف جميع الأمور والشئون من تعليمية ، وقضائية ، وصحية ، ومالية و إدارية .

ولا تعطى الحكومة الإمبراطورية للرءوس مرتبات ، ولكنهم يأخذون مايكفيهم من الضرائب[1] التى عليهم جبايتها . ومنها يصرفون على المصالح الحكومية المختلفة ، ولا سيما على العسس والجنود .

والرشوة متفشية ، وابتزاز أموال صغار الناس منتشر فى المقاطعات . والبون كبير جداً بين ما يجبى حقيقة وما يصل إلى خزانة الدولة .

ولا يحاسب الرءوس على أعمالهم إلا الإمبراطور ، فهو يدعوهم إليه فى مواعيد معلومة . أو كلما دعا داع أو شاءت إرادته .

---

(١) تجبى الضرائب محلياً أى فى المقاطعات على النحو الآتى :

(ا) العشر نوعاً من المحاصيل الزراعية المختلفة غير القطن .

(ب) ضريبة فى النوع من الماشية ، والمنسوجات والخشب والأطعمة المختلفة والقطن .

(حـ) المجهود الشخصى : يوم كل أربعة أيام للسيد .

(ء) درجو وهى مد الجنود بالطعام فى أثناء مرورهم وتنقلهم من قرية إلى أخرى وتختلف هذه الضرائب فى المقاطعات المختلفة اختلافاً قليلا . وفى العادة لايصل من هذه الضرائب إلى خزينة الحكومة المركزية إلا أقلها .

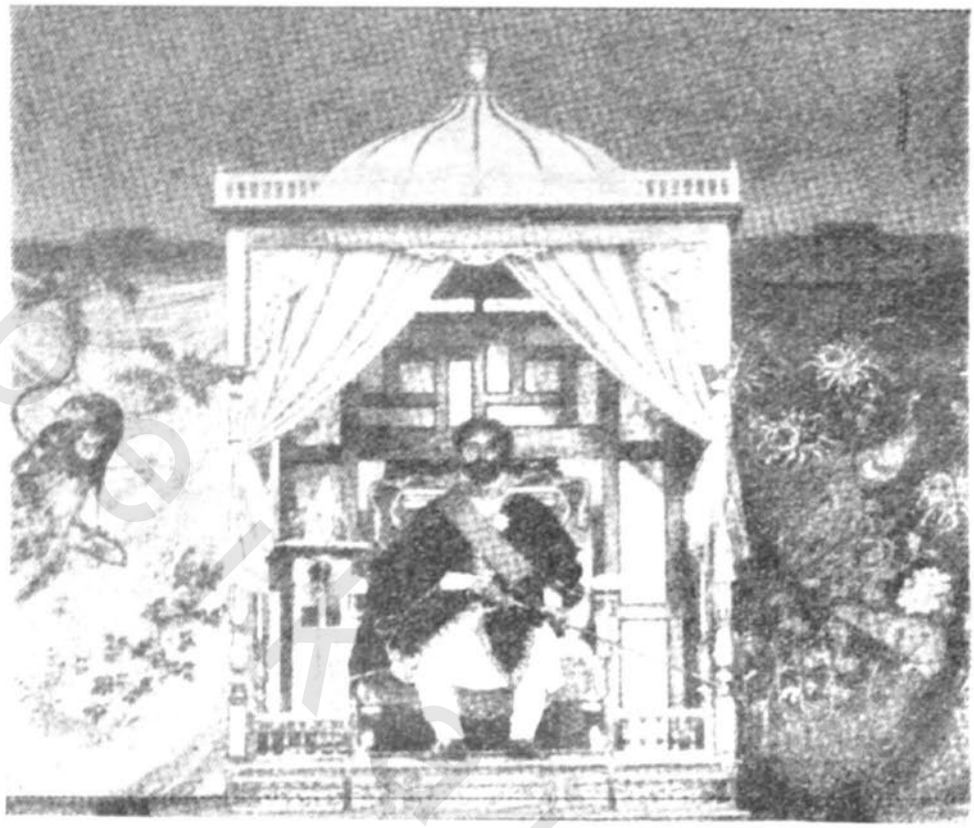

الإمبراطور هيلا سلاسى

ويتكون إيراد الحكومة المركزية أو الإمبراطورية من الجمارك ومن الضرائب النوعيـة ، التى ترد من المقاطعات ، ومن البريد[١] والتلغراف[٢] ومجموعها قليل جداً بالنسبة لكبر مساحة الحبشة ، وخصب أرضها ، وعظم ثروتها الزراعية والحيوانية .

---

(١) البريد مرتان فى الأسبوع بين جيبوتى وأديس ابابا . ولايقوم سماة بتوزيع الرسائل على أصحابها ولكن كل من ينتظر رسالة أوطرد يذهب إلى مكتب البريد للسؤال عنه وتسلمه عند وروده.
ولقد كتب المستر رى عن البريد فى الحبشة مايأتى :

"The parcel post service from Djebuti was deplorable, — parcels took several months to reach the capital— and when they did arrive, they were generally in a disgraceful condition, having been explored in route, and usually a portion of the contents abstracted entirely."

(٢) لقد كان حال التلغراف أسوأ من البريد « فقد كان وصول الإشارات البرقيـة يستغرق زمناً أطول مما تستغرقه رسائل البريد ، وكانت فوق ذلك تمسخ مسخاً تاماً ، فتتغير ألفاظها ومعانيها وكان مضمونها ملكا للجميع .. ولكن البريد والتلغراف تحسنا تحسناً كبيراً منذ أن كتب المستر رى كتابه عن الحبشة .

وهى غير كافية للقيام بالمشروعات اللازمة أشد اللزوم لهذا البلد ؛ كمد السكك الحديدية ، وتعبيد الطرق ، و بناء المستشفيات والمدارس وإقامة الجسور ، وتشييد القناطر والخزانات.

ولقد أصبحت الحكومة الحبشية بمقتضى دستور سنة ١٩٣١ ، الذى منحه الأمبراطور هيلاسلاسى لبلاده ، أصبحت حكومة نيابية ؛ ولكنها ليست برلمانية بالمعنى الذى تفهمه الأمم الدستورية المتمدنة : فإن لها مجلسين ، مجلس للشيوخ ، يختار الأمبراطور أعضاءه ، ومجلس للنواب ، لاينتخب الشعب أعضاءه فى الوقت الحاضر ، ولكن ينتخبهم الأمبراطور كذلك من ذوى الشأن فى الولايات المختلفة ، إلى أن يبلغ الشعب درجة من الرقي تؤهلهم انتخاب من ينوب عنهم [1] .

---

(١) سلطة المجلس استشارية محضة ، ويجتمع نصف أعضائه فى العاصمة مرة كل ستة أشهر. والسبب فى هذا الإجراء الغريب بعد الولايات من العاصمة وصعوبة المواصلات ، وفى العاصمة فندق خاص بالنواب لاينزل به غيرهم .